

المبحث السابع عشر

الخطة الصالحة لدى المسلم

الخصلة الصالحة لدى المسلم

الحمد لله رب العالمين، الذي تواضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء عزته، واستسلم كل شيء لقدرته، لا عز إلا في طاعته، ولا نعيم إلا في رضاه.

اللهم إنا نشهدك، ونشهد حملة عرشك وملائكتك، وجميع خلقك إنك أنت الله، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، لك الملك، ولك الحمد، وأنت على كل شيء قدير.

اللهم إنا في نعمة وستر، فأتم علينا نعمتك، وعافيتك، وسترنا يا رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الذاكرين، وإمام الشاكرين سيدنا محمد ﷺ وذوي نسبه الذين يبلغون رسالات الله، وهو سيد من بلغ رسالات الله، وهو من خشى ربه ﷻ، تعالى سلطانه، وعز جاره، وتباركت أسماؤه.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرِكُمْ ءَايَتِهِ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

أي: وقل أيها الرسول الكريم الثناء الجميل لله؛ لأنه سيريكم آياته في أنفسكم، وفي السماء والأرض؛ فتعرفونها معرفة تدلكم على الحق، وتبين لكم الباطل، وما ربك بغافل عما تعملون، وسيجازيكم على ذلك.

الحمد لله رب العالمين، لك الحمد يا رب العالمين، لك الحمد يا ولي الصالحين، لك الحمد يا غياث المستغيثين.

قد تحدثنا من قبل أن الله ﷻ إذا أراد أن يُنقِّي عبداً، ينقى أي أن الإنسان منّا يقع في ذنوب هذا لا خلاف عليه، وإن سيدنا موسى ﷺ كان نبياً وكان من أولي العزم، وكان له قلب صلب، وقلب شديد، ورغم هذا فإن سيدنا موسى ﷺ ألقى الألواح، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَتَّبِعُ خَلْقْتُنِي مِن بَعْدِي أَعْجَلْتُم أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِيْسَ الْقَوْمِ اسْتَزَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

أي: ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل حزينًا؛ لأن الله قد أخبره أن قومه قد فُتِنُوا، وأن السامريَّ قد أضلَّهُم، قال موسى ﷺ: بسئس الخلافة التي خلفتموني من بعدي، أعجلتم أمر ربكم؟ أي: استعجلتم مجيئي إليكم وهو مقدَّر من الله تعالى؟ وألقى موسى ألواح التوراة؛ غضبًا على قومه الذين عبدوا العجل، وغضبًا على أخيه هارون، وأمسك برأس أخيه يجره إليه، قال هارون مستعطفًا: يا ابن أُمي، إن القوم استذلوني وعدوني ضعيفًا، وقاربوا أن يقتلوني، فلا تجعلني في غضبك مع القوم الذين خالفوا أمرك وعبدوا العجل.

وأن هذه الألواح، وهي التوراة التي كتبها الرحمن بيده، لما انفعَل سيدنا موسى ﷺ، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه، أخوه هذا نبي، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، آيات شديدة سيدنا موسى ﷺ ألقى التوراة، لأنه نبي من أولي العزم، نبي ورسول وأخذ برأس أخيه وجره على الأرض، ولكن موسى ﷺ فعل هذا من باب الانفعال لله جل في علاه لم يكن منفعلًا لدنيا، ولا لمظهرية، ولا أخذته العزة بالإيمان، كثيرون تأخذهم العزة بالإثم، أما سيدنا موسى ﷺ اعترز بالإيمان يقول له: كيف يا هارون تركتهم ضلوا، تركتهم يعبدون العجل من دون الله كيف؟ وأين دورك؟ فسيدنا موسى ﷺ غضب لأمر الله تعالى، أي غضب؛ لأن الشريعة انتقصت، وضاعت معالمها عند بني إسرائيل عندما عبدوا العجل وتركوا القيوم ﷻ.

ما جرى من سيدنا موسى ﷺ، فقد أراد الله جل في علاه أن يُنْقِيه، وأراد الله أن يتوب عليه، وأراد الله أن يغسله مما حدث، فأعطاه الله تعالى خصلة صالحة.

ما الخصلة الصالحة؟ ولما سكت عن موسى ﷺ الغضب أخذ الألواح، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي ذُكْرِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

أي: ولما سكن عن موسى عليه السلام غضبه أخذ الألواح بعد أن ألقاها على الأرض، وفيها بيان للحق، ورحمة للذين يخافون الله، ويخشون عقابه.

الخصلة الصالحة التي عند سيدنا موسى عليه السلام هي سرعة الغضب، أي: الانفعال لله تعالى، والذي يفعل ربها لغير الله تعالى ويقسى القلب، لكن سيدنا موسى عليه السلام أعطاه الله تعالى خصلة صالحة، وهى أن سيدنا موسى عليه السلام لما غضب، وتدارك خطأه، واستقر في قلبه أنه ما كان يفعل هذا، ولو أنه فعل هذا من باب الحب لله تعالى، فإنه أراد أن يعود على الفور، وهذه توبة الصادقين.

إن الإنسان مجرد أن يستشعر أنه فعل شيئاً وأغضب الملك وأغضب القيوم، وأغضب الحي جل جلاله تباركت أسماؤه فإنه يعود سريعاً، قال: اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

أي: قال موسى لما تبين له عذر أخيه، وعلم أنه لم يُفَرِّط فيما كان عليه من أمر الله: رب اغفر لي غضبي، واغفر لأخي ما سبق بينه وبين بني إسرائيل، وأدخلنا في رحمتك الواسعة، فإنك أرحم بنا من كل راحم.

لما استشعر سيدنا موسى عليه السلام - وهو نبي الله - الذنب، ماذا فعل؟ قال: رب اغفر لي ولأخي، وأدخلنا في رحمتك.

معنى أدخلنا في رحمتك: أنه يتلمس الباب الذي يدخل فيه إلى رحمة الملك العزيز، أدخلنا كأنهم عندما فعلوا هذا، وتركوا هارون وعبدوا العجل من دون الله، كأنهم خرجوا من رحمة الله، وهم يريدون أن يعودوا إلى رحمة الله.

اللهم أدخلنا في رحمتك كما دعا موسى الكليم عليه السلام قال: اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك، ما أجل هذا الدعاء؟! إن كل منا وهو ساجد يقول: اللهم اغفر لي ولأخي، اللهم اغفر لي ولأخواني، اللهم اغفر لي ولأخواتي.

اللهم اغفر لي وارحمني، اللهم أدخلني في رحمتك، ولا تجعلني مع القوم الظالمين.

إذا أراد الإنسان أن يتوب لا بد أن ينخلع، أي: يخلع نفسه من رفقة الظالمين؛ لأنه إذا أراد أن ينقي ثوبه فلا بد من أن يرافق أناسًا أنقياء ليس في قلوبهم فقط، بل في أي شيء من ناحية أي أحد هكذا سيدنا موسى عليه السلام عندما أراد أن يتوب، قال هذه الجمل الثلاث، ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ...﴾ [الأعراف: ١٥١].

أراد أن يدخل في رحمة الله تعالى، وكى يدخل في رحمة الله تعالى؛ فإنه دعا الله وهو أرحم الراحمين أن يدخله في رحمته، وأن يبعده عن القوم الظالمين الذين جعلوه يغضب والذين جعلوه يثور؛ ولذلك الواحد فيكم، والواحدة فيكم عندما يأتي له انفعال شديد يبالغ فيه فوق العادة، فإنه يغادر المكان الذي يؤدي به إلى هذا الانفعال حتى يستقر قلبه، وما الذي يجعل قلبك مستقرًا، الذي يعيد إليك التوازن، ويعيد إليك البهاء، ويعيد إليك النشاط وهو الموضوع .

كما ذكرنا من قبل أن النبي الأعظم صلی الله علیه وسلم كانت له الخصلة الصالحة، فلازم كل واحد فيكم يفكر له في الخصلة الصالحة، لأنه إذا اعتاد على عمل خير، هذا العمل سينهض به يشده ويشد غيره، وآخر يجب يمسح على رءوس اليتامى خصلة صالحة، وآخر يجب أن يطيل السجود خصلة صالحة، وآخر يصبر على إيذاء الناس ولا يشتكى، وآخر يصبر على الحياة وشدها ومشقتها وصعوبتها وقسوتها، ولا يشتكى هذه الخصلة الصالحة .

تشده أي ينصلح بها باقي عمله، الآن يأتي إليك رجل وأنت تعلم أنه كذاب، وقلت لك: إن النبي الأعظم صلی الله علیه وسلم كان أشد الأخلاق إليه بغضًا كان الكذب، وأن يكون كذابًا فمن الناس من له مكانة في قلبك، ثم يتبين لك

بعد هذا أن كلامه كان كذباً وأن كلامه كان تليقاً في تليق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

أي: ويوم القيامة ترى هؤلاء المكذبين، الذين وصفوا ربهم بما لا يليق به، ونسبوا إليه الشريك والولد، تجد وجوههم مسودة، أليس في جهنم مأوى، ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده وطاعته؟ بلى.

ما حالهم؟ وجوهه مسودة، فالذي يُسود الوجه في الدنيا هو الكذب، والذي يسود الوجه في الآخرة هو الكذب، فإذا ما تخلص من الكذب، وصار صادقاً تغيرت صفته في الملاء الأعلى وصار صادقاً صديقاً، عندئذ ينصلح باقي أعماله، العمل كله ينصلح ويكتب مع الصديقين، قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١) ولكن عمله لا ينصلح أبداً مادام كاذباً، فعندما يتخلى الإنسان عن الكذب فإن الإيمان يستقر في قلبه، ويصدق وكذا وكذا، الذي يصلي بالناس صلاة غير خاشعة لا يخشع في صلاته وهو على هذه الحالة يصلي منفرداً باستعجال، بأن كان يصلي بالناس إماماً ويتعجل في الصلاة.

إذا صلي العصر بالناس يتعجل في الصلاة، وإذا كان يصلي بمفرده فإنه يخطف الصلاة خطفاً، إذا صلي بالناس في المسجد صلاة سريعة صلاة صاروخية هذه الصلاة تستطيع أن تحكم بها على قلبه؟ أي أستطيع أن أعطيك درجة في الإيمان على الصلاة كما أعطيك درجة في الإيمان في امتحانك في حب رسول الله ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا»، رقم الحديث: ٥٦٢٩.

أَصَوَاتُهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿[الحجرات: ٣]﴾.

أي: إن الذين يُحَفِّضُونَ أصواتهم عند رسول الله ﷺ أولئك الذين اختبر الله قلوبهم، وأخلصها لتقواه، لهم من الله مغفرة لذنوبهم، وثواب جزيل، وهو الجنة.

أي: دخل في امتحان ونقول لك: إنك تمتحن في الصلاة كالذي سافر قديماً ركب من بلاد إلى بلاد خرج من الجزيرة العربية، وسافر بلاداً بعيدة إلى "سمرقند" لكي يطلب من شخص حديثاً شريفاً يريد أن يستوثق من صحة حديث شريف، يقول له: أنا قرأت هذا الحديث، لكن أريد أن أسمعه منك، لأنك سمعته عن فلان عن فلان، وفلان هذا سمعه من رسول الله ﷺ، وكل هؤلاء الناس عندما سألت عليهم وجدتهم ماتوا ولم يبق إلا أنت، أنت حجتني فذهب من بلد لبلد فدخل عليه، وهو يصلي أي وجده يصلي هل وجده لا تشوبه شائبة؟

فجلس ينظر عليه، وهو فاتح دفتره ينتظر أن ينتهي من الصلاة؛ ليسأله ويكتب المعلومة التي يريدتها ويعود إلى بلده في دقائق ثم وهو يصلي أغلق الدفتر، وأغلق قلم الحبر، وأخذ الأدوات ووضعها في حقيبتها، وأغلق الحقيبة واستعد للخروج، فقال له: ما الذي أتى بك؟ ولماذا أنت ذاهب؟ ما الذي أتى بك من بلاد العرب وجئت من بلاد إلى بلاد وأنت راجع دون أن تنتفع مني بشيء، قال له: جئت لتعلمني حديث رسول الله ﷺ وإنك الحجة في هذا الحديث، فجئت إليك راجياً أن آخذه منك فعندما جئت إليك وجدتك لا تعدل في صلاتك، لا تقيمها حق القيام، فأنت لست منصفاً مع الله، ولست حجة في نقل كلام رسول الله ﷺ، ومثلك لا يوثق بكلامه وعاد!

وجد أن هذا الرجل لا يعدل في صلاته ولو عدل في صلاته ولو عدل في وضوئه، فهذه خصلة صالحة ينصلح بها باقي عمله بدأنا الآن نفهم

معنى الخصلة الصالحة، والشاب الذي يقع في العادة السرية، وقال: لا أستطيع أن أغض بصري لكثرة ما أجد من كذا وكذا، والمجتمع مليء بالفساد وكذا وكذا، إذا استعان بالخصلة الصالحة ألا وهي غض البصر، إذا جاء بها، وحافظ عليها، وتمكن منها فإن الله تعالى يبدل سيئاته حسنات، فقال: هذا الأمر صعب علىّ، شديد علىّ، لكنه كلما أراد أن يغض بصره قال له الشيطان: استمتع، متع نفس، متع ناظريك، متع قلبك، الناس يقولون في باب المتعة الدنيوية الفانية: إن الإنسان لا يعيش إلا مرة واحدة، هذا خطأ كبير.

إن الحياة الحقيقية، هي الحياة التي نحيها الآن هي مقدمة حياة سرمدية، الحياة الحقيقية هي الحياة التي تأتي إليك بعد الموت، كما قال لك الملك عندما يؤتي بالإنسان وتعرض عليه أعماله، وصحائفه، وما قدم، وما أخر فإنه يتمنى أن يعود مرة أخرى لكي يتنعم بالإيمان؛ ولكي يعايش الإيمان فيقول: يا ليتني قدمت لحياتي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

يقول: يا ليتني قدّمت في الدنيا من الأعمال ما ينفعني لحياتي في الآخرة، هذه حياتي، أي حياتي الآخروية، كما قال لك الملك أيضًا في سورة العنكبوت: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

أي: وما هذه الحياة الدنيا إلا هو ولعب، تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان؛ بسبب ما فيها من الزينة والشهوات، ثم تزول سريعًا، وإن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا موت فيها، ولو كان الناس يعلمون ذلك لما آثروا دار الفناء على دار البقاء، الذي قال: إنك تعيش مرة واحدة، فاغنم من الحاضر لذاته فليس في طبع الليالي الأمان.

فهذا كلام خادع وبراق وزائف، والذي يسبُّ الليالي فيقول: فليس في طبع الليالي الأمان^(١)، إنما يسب خالق الليالي، ونقول لك: واغنم من الحاضر لذاته، لذات الحاضر هي التي نحدثك عنها الآن هي اللذات التي

(١) القائل هو: "عمر الخيام" في رباعيته؛ "رباعيات الخيام".

نفهمها؛ لأنه ذاق طعم الإيمان، وذاق حلاوة الإيمان هي اللذة الحقيقية التي يتنعم بها أهل حب الله ﷻ، فظل يقاوم كالذي يغسل ثوباً، يغسل جلباباً يغسل عباءة أو يغسل شيئاً، فكلما أراد أن يغسل فإنه لا زال متسخاً، كلما أراد أن يغسل فلا زالت البقعة متناثرة فيه، لا بد أن يستعين بمنظفات أخرى أشد قوة، وإذا لم تصلح، وإذا لم تنفع فإنه يأتي بغيرها حتى يتنفع بهذا الثوب الذي يغسله، هكذا قلبك يحتاج إلى غسيل، كالذي لا يتكلم إلا قليلاً، هذه خصلة صالحة جعلته يتكلم قليلاً، جعلته يصمت، جعلته لا يتنقل أخبار الناس، ولا يتعاقب أخبار الناس، ولا يشغل بأخبار الناس.

ما البداية؟ إنه لا يشغل بالناس هذه خصلة صالحة لماذا؟ لأنها جعلت قلبه متفرغاً لحب الملك، لا يشغل إلا بالله ﷻ كما قال الخليل عليه السلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]، حين قال لأبيه وقومه: ما هذه الأصنام التي صنعتموها ثم أقمتهم على عبادتها ملازمين لها؟

أيصح لك أن تعبد تماثلاً؟ أن تعبد حجراً، أن تعبد مزاجاً، أن تعبد مصلحةً، فسيدينا إبراهيم تهكم من قومه، ما هذه التماثيل؟ ما هذا؟ ماذا تفعلون؟

أين عقلكم؟ وأين فهمكم بالله تعالى؟ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ ماذا فعلت لكم التماثيل؟ الواحد إذا مرض، وإذا تعب أو مرض ولده، أو زوجته يقول: يا تمثالي، يا تمثالي، أم يقول: يا رب، يا رب! ماذا تقول؟ كثير من الناس في هذه الحياة التي نعيشها لا يعرفون الرب العظيم، الكبير المتعال إلا عندما تشد بهم الأزمات، ولا يعرفون طريق المسجد، ولا مواعيد الأذان، ولا مواعيد الصلاة إلا كهذا الرجل الذي حملت امرأته، امرأته أصبحت حاملاً، وأتى موعد الولادة، وهو لم يكن يعرف رب العالمين، من قبل كان ناسياً الخالق العظيم الملك الرحمن الرحيم، ثم نجدها تحتاج غوثاً، خروج روح من روح، سبحانه الله تعالى أنها عملية ليست هينة، عملية خلق الحياة، حياة تطلع من حياة، حياة تخلق من

حياة، جنين يخرج حي من بطن أمه، وتظل أمه حيةً وأثناء متاعب ومشاق الولادة العظيمة تذكر الخالق، تذكر المنجي، فاستغاث به فكيف استغاث بالله ﷻ؟ انظر ماذا قال الملك ﷻ في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَبْلًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

أي: هو الذي خلقكم أيها الناس من نفس واحدة، وهي نفس آدم ﷺ وخلق منها زوجها، وهي حواء؛ ليأنس الإنسان بها ويطمئن بعشرتها، فلما جامعها، والمراد جنس الزوجين من ذرية آدم، حملت ماءً خفيفاً، فقامت به وقعدت وأتمت الحمل، فلما قرّبت ولادتها، وأثقلت دعا الزوجان ربهما: لئن أعطيتنا بشراً سوياً صالحاً لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت لنا من الولد الصالح.

فلما أثقلت ماذا يعملون؟ دعوا الله ربهما، لم يقل دعوا ربهما، لم يقل دعوا الله فقط، ولكن هذه الاستماتة في الدعاء، الاستماتة في الرجاء دعوا الله ربهما، أي ذكر لفظ الجلالة ﷻ وذكر كلمة الرب، ومنتهى الربوبية، ومنتهى العظمة كلها لله ﷻ ﴿... لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَبْلًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

فاستجاب الله لقدرته لعلمه يختبر فجاءه طلب فأقام الله عليك الحجة، وترى أولادك متى يكبرون وأنت تكبر معهم، وكلما تكبر معهم يموت والدك وتموت والدتك، هذه الحياة تعطيك مواقف وعظات لا بد أن تعيشها انظر، ماذا قال الملك ﷻ ﴿... فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَبْلًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

يذهبون المستشفيات في أقسام الولادة أو عند أطباء الأمراض النسائية أو الطبيبات في أمراض النساء والتوليد، تلاحظون الناس جالسين وهم يمسون المصاحف يقولون: يا رب يا رب، وأول ما يستمعون بكاء الطفل يغلقون المصاحف، والذي بيده سبحة، والذي يصلي ركعتين،

جاءت لحظة الحياة انتهى الأمر، أغلقت المصاحف، وسحبت المسابح، والقضية لا ينبغي أن تنتهي ﴿... فَلَمَّا أَثَقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَلَاحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

فلما آتاهما صالحا، صالحا أي سويا، ليس عنده مشكلة، لا يدخل حصانة، ولا يدخل لإجراء عملية فجاءت الآية التي لحقتها في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

أي: فلما رزق الله الزوجين ولدا صالحا، جعل الله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بخلقه فعباده لغير الله، فتعالى الله وتنزه عن كل شرك .

أردت أن أقول لك: إن الخصلة الصالحة أن تلجأ، وأن تستغيث، وأن تستعين بالله تعالى، في جميع الأحوال ليس فقط عند الشدة، وإنما تستعين بالله تعالى، وتجأ إليه عند الرخاء، فإذا ما استعنت به عند الرخاء فإنه يحيرك عند الشدائد ﷻ، ﷻ فهو القائم.

أمن يحير المضطر إذا دعاه، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾

[النمل: ٦٢]

أي: أعبادة ما تشركون بالله خير، أم الذي يجيب المكروب إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به، ويجعلكم خلفاء لمن سبقكم في الأرض؟ أمعبود مع الله ينعم عليكم هذه النعم؟ قليلا ما تذكرون وتعتبرون؛ فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

أي: أحدهم مضطر، ولكن خارج إطار الخدمة، لكن في الواقع اضطر حتى لو كان كافرا، ولكنه اضطر، فلما اضطر تذكر أن لهذا الكون إلها فقال: يا رب، وهو كافر فإنه مضطر، وكونه مضطرا جعله يدعو، ويطلب،

ويستغيث: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

قليلاً ما يتذكر الإنسان أنه أحوج إلى الله ﷻ في الرخاء قبل أن يكون أحوج إلى الله تعالى في الشدائد؛ ولذا فإن الخصلة الصالحة التي تحدثنا عنها الآن لا ينبغي أن تنساها إنك في السراء، في الراحة، في الرخاء، في السعة، وأنت سعيد تقول: يا رب، وتنوي بالقيام بركتين شكر.. أشكر الله ﷻ.

عندما تشعر أن الله ﷻ أعانك على عمل صالح في ليلة، فإنك تصبح صائماً، لو أن الله ﷻ أعانك وأكرمك بالنهار، وبيّض وجهك، وفتح لك، فماذا أنت فاعل له في الليل؟ الذي أعطاك، الذي أكرمك الذي بيّض وجهك، الذي وسع عليك الذي جعل لك فيضاً، وعطاءً، وكرماً بماذا قابلت هذا؟ اعترفت بالجميل ليس هذا كافياً.

الخلصة الصالحة كل منكم يختار خصلة تقربه إلى ربه. فعلى سبيل المثال: أن تحدث بعد كل ذنب توبة؛ حتى ولو كان صغيراً، ينبغي على الفور أن تصلي ركعتين بنية التوبة في لحظتها، في اللحظة نفسها قبل أن ترجع بيتك في المكان نفسه الذي أغضبت فيه الملك، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

أي: والذين إذا ارتكبوا ذنباً كبيراً، أو ظلموا أنفسهم بارتكاب ما دونه، ذكروا وعد الله ووعيده؛ فلجئوا إلى ربهم تائبين، يطلبون منه أن يغفر لهم ذنوبهم، وهم موقنون أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، فهم لذلك لا يقيمون على معصية، وهم يعلمون أنهم إن تابوا تاب الله عليهم.

صلوا ركعتي التوبة في المكان نفسه، في الحالة نفسها ارتكب ذنباً أو اقترف إثماً، أو قال ما لا ينبغي أن يقول، أو ما لا ينبغي أن يفعل، لا يرجع

بيته إلا أن يتوب، فإذا فعل ذنبًا فله توبة، كما قال لك الملك الآن في سورة آل عمران، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم .

كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّاهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

أي: عندما ذكروا الله صلوا ركعتين، فلما صلوا هاتين الركعتين كانت استغفارًا، الصلاة في حد ذاتها استغفار؛ ولكن هناك فرقًا أن الشخص يصلي؛ لكي يتوب الله تعالى عليه، وآخر يصلي صلاةً سريعة، خفيفة ليس لها ميزان، وليس لها قوام، ومن هنا، فإنك كلما فعلت ذنبًا أحدثت له توبة في المكان نفسه، وقد كان أصحاب النبي ﷺ إذا أراد أحدهم أن يتوب، فإنه يُعاهد الله تعالى ﷻ، ويقول: يا رب كل مكان عصيتك فيه فإنني سأطيعك فيه، أي كل مكان، الإنسان أغضب فيه الملك يذهب لنفس المكان؛ لكي يرضى الملك.

وآخر كان عنده حديقة كان يجمع فيها الناس، ويجلسهم فيها يفعلون أشياء لا تليق، أو يضيعون فيها الوقت، وليس شرطًا أن يقعوا في ذنب، على سبيل المثال. يقول لإخوانه ولأقاربه: أنتم ضيوفي اليوم، وجلسوا معه يأكلون ويشربون ولم يؤذوا أحدًا، ولكن لم يصلوا، فعدم الصلاة في حد ذاتها معصية، فأتت عليهم صلاة الظهر، والعصر والمغرب، والعشاء، وعادوا إلى مدينتهم دون أن يؤدوا الصلاة، إذا أراد أن يتوب فإن الذي فاته لا بد أن يعيده مرة ثانية.

قال النبي ﷺ لسيدنا بلال ؓ وهو يقص عليه الرؤيا بعد صلاة الفجر كان النبي ﷺ يستقبل أصحابه ويقول لهم: «هل رأى أحد منكم رؤيا»^(١)؛ أي: يقبل عليهم بعد صلاة الفجر، فيسألهم من رأى منكم أمس رؤيا صالحة، فيقصونها

(١) صحيح البخاري، كتاب: التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم الحديث: ٦٥٢٥.

على النبي ﷺ فيعبرها لهم، أي: يفسرها لهم، فلما صلى الفجر في هذه الليلة قال يا بلال: «بم سبقتني إلى الجنة، ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي»^(١) يقول النبي ﷺ: لسيدنا بلال: أنت كنت معي في الجنة بالأمس، أي سمعت خشخشتك، أي كنت رفيقاً لي في الجنة بالأمس، ماذا كنت فاعلاً؟

ما الذي أوصلك أن تكون معي في الجنة؟ ما أرجى عمل فعلته؟ فذكر بلال ﷺ الخصلة الصالحة التي نتحدث عنها الآن لتنقية العمل، فذكر خصلة واحدة لم يقل له: أنا أزكي، أنا أحج كل سنة وأعتمر، ولكننا نركز على خصلة تخصص فيها خصلة من العمل الصالح، إن كل مسلم له سورة يخصصها بالمحبة يقبل عليها ويدندن بها، عمل واحد يتميز فيه تخصص فيه، فقال بلال ﷺ لرسول الله ﷺ: (ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها، ورأيت أن الله عليّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: «بهما»)^(٢) أي أن الناس كلها تتوضأ للظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، ولكن سيدنا بلال كلما توضأ صلى ركعتين دون الفريضة، وما الذي أوصلك إلى هذا يا بلال؟ ماذا نفهم من كلامه ﷺ؟

نفهم من كلامه أنه كان متوضئاً على مدى أربع وعشرين ساعة، هذه واحدة، الأمر الآخر أنه كان يصلي ركعتين بعد كل وضوء، وهما سنة الوضوء، ولكن الجميل ما لم تكن أوقات كراهة، ولا فيها كراهية في الصلاة فإنه يصلي ركعتين، وبعد هذا فإنه يشعر بأنه مقبل على قيوم السماوات والأرض.

(١) سنن الترمذي، كتاب: المناقب، باب: في مناقب "عمر بن الخطاب" ﷺ، رقم الحديث: ٣٦٢٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب: المناقب، باب: في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، رقم الحديث: ٣٦٢٢.

اللهم اجعلنا بالقرآن العظيم ذاكرين، وللنعماء شاكرين
ومن الضراء صابرين، وللفرائض مؤدين، وبالأثار للنبي صلى الله عليه وسلم
مقتدين ومهتدين، وعن المسألة للغير متعفين، وبالعبودية لمن
سواك مستنكفين، وبفضل جودك يا رب مكتفين، وبالأعمال
مخلصين، اللهم صل وسلم وبارك على أفضل خلقك أجمعين
سيدنا محمد، وآله وصحبه الغر الميامين .

اللهم يا عظيم السلطان، يا قديم الإحسان، يا كثير الخير،
يا واسع العطايا، يا باسط الرزق، يا خفي اللطف، يا جميل الصنع،
يا جميل الستر، يا حلياً لا يعجل، يا كريماً لا يبخل، يا مقوي كل
ضعيف، يا مأمناً كل خائف، يا من لا يحتاج إلى البيان والتفسير،
حاجتنا إليك كثيرة، وأنت بصير بنا، محيط بأفعالنا، وأنت عالم بنا،
اللهم اغفر لنا وارحمنا، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا اللهم فيما
أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت .
